وحدة الأمة

مجلة علمية فصلية محكّمة يصدرها المعهد العالمي لوحدة الأمة الإسلامية

السنة التاسعة العددان: ٢/١ يونيو ٢٠١١م

في هذا العدد

بحوث ودراسات

انتكاسات الوحدة الإسلاميّة عبر التّاريخ "قراءة غزاليّة" د. نجيب بن خيرة

القرآن الكريم واستشراف القيم الإنسانيّة "قيمة العدل أنموذجًا" د. سعيد بن راشد الصواغي

المعهد العالمي لوحدة الأمة الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

IIMU
INTERNATIONAL INSTITUTE FOR MUSLIM UNITY

مجلة علمية فصلية محكّمة يصدرها

المعهد العالمي لوحدة الأمة الإسلامية

مجلة وحدة الأمة، ٢٠١١م
السنة التاسعة: العددان : ٩، ٢/١، ٢٧- ٦٣

القرآن الكريم واستشراف القيم الإنسانيّة "قيمة العدل أنموذجًا"

د. سعيد بن راشد الصوافي *

الملخص

هذه الورقة البحثية تتحدث عن رسالة الله المعجزة الخالدة (القرآن الكريم) واستشراف هذه الرسالة لمستقبل القيم الإنسانية، وقد جاءت بعنوان: **القرآن الكريم واستشراف القيم الإنسانية (قيمة العدل أنموذجًا)**، وقد أوضحت الدراسة معالم هذه الرسالة العظمى ومضامينها، ثم تطرّقت إلى الحديث عن قيمة من أسمى القيم التي تنشدها الإنسانية، وهي: قيمة العدل، وكيفية تطبيقها في واقع الحياة. وقد شملت الورقة الآتي: **المقدمة:** أعطت نبذة عن الموضوع، وأهميته، وخطة الدراسة، والمنهجية المتبعة، ثم يأتي **المبحث الأول: رسالة القرآن الكريم إنسانية عالمية:** ليوضّح الرسالة العالمية ومضامينها، وغاياتها، أما **المبحث الثاني:**

* د. سعيد بن راشد، أستاذ مساعد بقسم العلوم الإسلامية – جامعة السلطان قابوس.

وهو: قيمة العدل في القرآن الكريم، فقد كان حول مفهوم العدل وأهميته وقضاياه المهمّة، واستشراف القرآن الكريم لهذه القيمة. وتأتي **الخاتمة** ملخصةً أهم نتائج البحث، ومتضمنةً بعض التوصيات. **والبحث يرمي إلى تحقيق أهداف عديدة تتمثل في** بيان رسالة القرآن الكريم وعالميتها، وشمولية المنهج القويم الذي حوى المبادئ والقيم والتشريعات المناسبة للإنسانية، على اختلاف أزمانها، وتباين أحوالها. فضلاً عن إبراز بعض مظاهر استشراف القرآن الكريم لبعض القيم الإنسانية، تمثلت في (قيمة العدل أنموذجًا).

ABSTRACT

This research aims to through a light into the Verses of the Holy Quran to show people the Message of Allah to the all mankind. The research tries to clarify the real value of the justice and how to practice it in the real life. The research is divided to: Introduction: contains the importance of the topic, the research plan and its methodology. Section one: talks about the globalization of Allah's message (Islam) to all mankind and goals of this message. Section two: talks about the value of justice in the Holy Quran and about its definition, importance and most important cases belong to it. Conclusion: contains a summary of the research results and recommendations. The research is aiming to achieve many goals such as showing the Holy Quran is a global message (from Allah) to all mankind contains very important values and principles and showing how the Quran look at the future of values of the humanity such as justice.

المقدمة

القرآن الكريم منهج شامل متكامل للحياة البشرية؛ يتناول بالتنظيم والتوجيه والتطوير، كل جوانب الحياة الإنسانية؛ في جميع حالاتها، وفي كل صورها وأشكالها.

وهو منهج قائم على العلم المطلق بحقيقة الكائن الإنساني، والحاجات الإنسانية، وبحقيقة الكون الذي يعيش فيه الإنسان، وبطبيعة النواميس التي تحكمه، وتحكم الكينونة الإنسانية، ومن ثَمَّ لا يفرط في شيء من أمور هذه الحياة، ولا يقع فيه ولا ينشأ عنه أي تصادم مدمر بين أنواع النشاط الإنساني، إنما يقع التوازن والاعتدال والتوافق والتناسق، الأمر الذي لا يتوافر أبداً لمنهج من صنع الإنسان، الذي لا يعلم إلا ظاهرًا من الأمر. منهج قائم على العدل المطلق أولاً، لأن الله يعلم حق العلم بم يتحقق العدل المطلق؟ وكيف يتحقق؟ وثانيًا لأنه سبحانه رب الجميع؛ فهو الذي يملك أن يعدل بين الجميع. وهو منهج متناسق مع ناموس الكون كله؛ لأن صاحبه هو صاحب هذا الكون كله، صانع الكون وصانع الإنسان، فإذا شرع للإنسان، شرع له بوصفه عنصرًا كونيًّا، له سيطرة على عناصر كونية مسخرة له، بأمر خالقه، بشرط السير على هداه، وبشرط معرفة هذه العناصر والقوانين التي تحكمها [١].

إن نظرة القرآن الكريم المستقبلية، تختلف تمامًا عن نظرة أي حضارة من الحضارات الأخرى؛ ذلك أن مبتغى تلك الحضارات وغاياتها؛ إنما هو رفاهية الحياة، بينما محور الحياة القرآنية هو خالق الإنسان، وتحقيق شرعه في عالم الوجود، ليسعد الإنسان على مختلف أطيافه، والغاية هي أسمى من أن تكون إشباع رغبات، إنما هي إرضاء رب الكون، صاحب الحق.

---

[١] يُنظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق ــ بيروت والقاهرة، ط ١٥، ١٩٩٨م مج ٢، ص ٨٩٠ .

ثم إنه من الذي يستطيع استشراف المستقبل، لوضع نظام محكم لمستقبل الإنسانية؟ الإنسان ذلك المجهول الذي لا يعلم حقيقة نفسه؟ أم العلم الحديث بفكره المادي البحت؟ أم الفلسفات المختلفة؟

عرف العلم الحديث الجمادات أو المادة، وحلّلها واكتشف قوانينها، ولكنه عجز عن معرفة الإنسان حق المعرفة، وقد تبيّن أن العلم الحديث لم يستطع أن يسبر غور الإنسان، وأن يتعرف على حقيقته، ذلك أن هذا الإنسان معقد التركيب؛ حيث لا يعرفه إلا من خلقه، فتبارك القائل في علاه ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (الملك: ١٤)، " وما دام العلم يجهّل الإنسان، فلا يؤمل منه أن يُحسن توجيهه وتربيته والتشريع له، بل بدا اليوم أن العلم، وبعبارة أدق: تطبيقاته التكنولوجية أصبحت خطرًا على فطرة الإنسان، وبيئة الإنسان " [٢].

والفلسفات على الرغم من اهتمامها بالإنسان اهتمامًا بالغًا لم تتفق على رأي في نظرتها إلى الإنسان، مما دعا عبد الحليم محمود إلى القول: " الفلسفة لا رأي لها؛ لأنها تقول الرأي وضده، والفكرة ونقيضها " [٣].

وإذا كان العلم في العصر الحديث قد شهد طفرةً في التقدم، وبلغ شأوًا عظيمًا في الرقي، إلا أن الفكر المادي غلب على طابعه؛ لذا ضاعف من متاعب الإنسانية، وعقّد مشاكلها، والفلسفة بمفكريها لم تُسعف الإنسان بحلول لمتاهاته، فأين يكمن الحل لهذه الإنسانية الحائرة بين الأفكار المختلفة، والنظرات المادية المتنوعة؟ إن الذي يستطيع تقديم الحلول هو العالم بخبايا الأمور، ودقائق الأشياء، الذي خلق الكون والإنسان، وسيّر أمورهما،﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الملك: ١٤)، فقد جعل للإنسانية دستورًا تستهدي به ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ**

---

[٢] القرضاوي، يوسف، الإسلام حضارة الغد، المؤتمر العام التاسع (الإنسانية ومستقبل الحضارة : وجهة نظر إسلامية) عمّان ٢٣ ــ ٢٥ من المحرّم ١٤١٤ هـ / ١٣ ــ ١٥ يوليو ١٩٩٣ م، ص ٣٦٥ .

[٣] المرجع السابق، ص ٣٦٦ .

﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥ ــ ١٦) الكتاب الذي جاء رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) الكتاب الذي حوى كل شيء تحتاجه الإنسانية ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

إن استشراف القيم الإنسانية، ينبغي أن نلمسه من منبعه الصافي، الصادر عن بارئ هذه القيم، والمصدر الوحيد الذي نستطيع الثقة به، والاعتماد عليه، في هذا الموضوع؛ هو الرسالة الصافية الخالدة، المحفوفة برعاية الله وحفظه، رسالة القرآن الكريم، رسالة رب العالمين إلى الإنسانية جمعاء، ولكي ينجلي هذا الموضوع بوضوح، لا بد أن نتكلّم بداية ــ ولو بشيء من الإيجاز ــ عن رسالة القرآن الكريم، ومضامينها، ثم نعرّج على قيمة هي من أسمى القيم الإنسانية في هذه الحياة، ألا وهي قيمة العدل، فبها تتحقق للإنسانية باقي القيم التي تنشدها، فتعيش في ظل الحرية الحقّة.

إن سعادة المجتمع الإنساني واستقراره، يتطلب وجود منهج يسير عليه، وإن قيام المفكرين أو الفلاسفة، أو غيرهم بوضع منهاج معيّن، إنما ينطلقون من فكر بشري قاصر.

وإذا أرادت الإنسانية أن تستقيم أمورها، وتسعد حياتها، فعليها أن ترجع إلى المنهج القرآني؛ فإنه من لدن حكيم خبير، يُشرّع للإنسانية قبل وجودها، فهو عالم بما يصلحها وما يفسدها، ووضع الحلول المناسبة لما يعتريها من أحوال، فالمنهج القرآني وحده، هو القادر دون سواه على منح الإنسانية ما تحتاجه من القيم المطلقة، التي لا بد أن يكون مصدرها من خارج الإنسان، حتى يكون لهذه القيم قوة الإلزام، والقدرة على التأثير في الحياة الإنسانية.

أما قيمة العدل؛ فهي أعظم القيم الإنسانية في الحياة، يتحقق في ظلها أمن الشعوب واستقرارها، وتبلغ بها الإنسانية منتهى سعادتها، وغاية تقدّمها

وازدهارها، وحاجة الإنسانية اليوم إلى العدل، أصبحت هاجسًا عامًا؛ نظرًا إلى ما تشهده من تفشٍ للظلم، واستشراءٍ لمظاهره الآثمة، في آفاق وجودها.

إن هذه الورقة البحثية، تحاول أن تلقي بظلال البحث، في أعماق آيات القرآن الكريم، لتجلّي للإنسانية رسالة الله الخالدة، الموجهة إلى الإنسانية جمعاء، موضحة قيمة من أسمى القيم التي تنشدها الإنسانية، ألا وهي قيمة العدل، وكيفية تطبيقها في واقع حياة الإنسانية، وفي ضوء ذلك تمثلت هذه الورقة البحثية في الآتي:

- **المقدمة:** حوت أهمية الموضوع، وخطة الدراسة، والمنهجية المتبعة.
- **المبحث الأول: رسالة القرآن الكريم إنسانية عالمية:** يبيّن الرسالة العالمية الخالدة إلى البشرية، ومضامين هذه الرسالة، وغاياتها.
- أما **المبحث الثاني فهو:** قيمة العدل في القرآن الكريم، وقد وضّح أهمية العدل، واستشراف القرآن الكريم لهذه القيمة.

وتأتي **الخاتمة** ملخصةً أهم نتائج البحث، متضمنةً بعض التوصيات.

وقد اعتمد الباحث في هذا البحث: المنهجين: الاستقرائي، والتحليلي؛ فبعد استقراء الآيات المتعلقة بالموضوع، تم تحديد ما يتصل بالموضوع اتصالاً مباشرًا، للتدليل به على نقاط البحث، ومن ثَمَّ تحليل هذه النصوص، وعرض آراء بعض أهل العلم.

وقد ابتعد أسلوب البحث عن التعقيد والاستطراد، واكتفى الباحث بما يراه مهمًا جدًا في الموضوع، وإلا فإن هذا الموضوع كبير ومتشعب، حاول الباحث اختزاله في هذه الصفحات آملاً أن يستفيد هو أولاً، ومن ثَمَّ مختلف الباحثين والدارسين.

المصطلحات ذات الصلة

استشراف: الاستشراف مأخوذ من الشرف، وهو العُلوّ والمكان العالي، قال ابن منظور: " الاستشراف أن تضع يدك على حاجبك وتنظر، وأصله من الشرف

العلو، كأنه ينظر إليه من موضع مرتفع، فيكون أكثر لإدراكه " [٤].

وبهذا يكون معنى الاستشراف هو: النظر إلى الأمور المستقبلية نظرة دقيقة واعية شاملة.

ومن خلال هذا المدلول، نستطيع أن ندرك أن استشراف القرآن الكريم للقيم الإنسانية أشمل وأدق وأضبط النظرات، بل وأحكمها؛ فهي نظرة واقعية، مبنية على علم بحقائق الأمور؛ لأنها صادرة عن الله سبحانه وتعالى، العليم الخبير بأحوال الإنسانية ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الملك: ١٤).

القيم: القيم جمع قيمة، وهي ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته، فقد استقام لوجهه.

وقيّم الأمر مقيمه، وأمر قيّم ومستقيم، وفي الحديث " **أتاني مَلك فقال: أنت قُثَم، وخُلقك قيّم** "[٥]، أي مستقيم، وفي الآية ﴿ **ذلك الدين القيّم** ﴾ أي: المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق، وقوله تعالى:﴿ **فيها كتب قيّمة** ﴾ (البينة: ٣) أي: مستقيمة تبيّن الحق من الباطل على استواء [٦].

والقيمة بالكسر واحدة القيم، وما له قيمة، واستقام: اعتدل، وقوّمته: عدّلته، فهو قويم ومستقيم، والقوام (بالكسر): نظام الأمر وعماده وملاكه [٧].

وإقامة الشيء: توفيةُ حقّه، وتقويم الشيء: تثقيفه، قال تعالى ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ (التين: ٤) وذلك إشارة إلى ما خُصّ به الإنسان من

---

[٤] لسان العرب، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، ط ٢، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ٩١ .

[٥] يُنظر هذا الحديث في: الجزري، أبو السعادات المبارك محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد، ومحمود محمد، المكتبة العلمية ــ بيروت، ١٩٧٩م، باب: القاف مع الثاء، ج ٤، ص ٢٧، والسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ١٩٨٥م، باب: الآية في حفظه صلى الله عليه وسلم من التثاؤب، ج ١، ص ١١٣.

[٦] المرجع السابق، ج ١١، ص ٣٥٧، ٣٥٩ .

[٧] الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ــ بيروت، ط ٢٠٠٥ م مادة (ق و م) .

بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة [٨].

ومن ذلك يتّضح أن القيم هي مأخوذة من مادة (قوم) وقد استعملت لمعانٍ عدة، منها:

١ ــ نظام الأمر وعماده ٢ ــ توفية الشيء حقه

٣ ــ الاستقامة والاعتدال ٤ ــ قيمة الشيء وثمنه

فالقيم إذًا هي: ما يقوم عليه عماد الأمر، واستقامته، واعتداله، وانضباطه.

هذا هو التعريف اللغوي، أما تعريف القيم اصطلاحًا؛ فإني لم أجد ــ حسب اطلاعي ــ في كتب التراث الإسلامي تعريفًا لهذا المصطلح، ولعله ــ كما يرى ناصر الدين الأسد ــ أنه مصطلح حديث، بالمعنى الذي نستعمله له اليوم، ويرى أن القيم هي: تقدير الفرد أو الجماعة لصفات خاصة في الأشياء، أو في الأحياء؛ تجعلها محمودة أو مذمومة، أو تجعلها موضع رغبة فيها، أو عنها[٩]، ويرى السالمي أن القيم: معايير أخلاقية، يصدقها عدد من البشر، في ضوء معتقداتهم وثقافتهم، تحتوي على فكر ثابت، وآخر متطور مع تطور الحياة والمجتمع، توجه سلوكياتهم، وتضبط تصرفاتهم إيجابياً، وفق أولويات يحددونها [١٠].

والحقيقة أن مفهوم القيم في منظور القرآن الكريم، مرتبط بحركات الإنسان وسكناته؛ كونه عبداً لله، خاضعاً لأمره ونهيه ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنعام: ١٦٢)، فمعايير وضوابط

---

[٨] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٤٦٦، ٤٦٧ .

[٩] يُنظر : الأسد، ناصر الدين، القيم بين الخصوصية والعمومية، المؤتمر الثقافي العربي السابع (الثقافة والقيم) سلطنة عمان ــ جامعة السلطان قابوس، أكتوبر ٢٠٠١م، دار الجيل ــ بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٣١ .

[١٠] يُنظر : السالمي، حمد بن سليمان، التصنيف الخماسي للقيم الإنسانية من منظور إسلامي، المؤتمر الثقافي العربي السابع (الثقافة والقيم) سلطنة عمان ــ جامعة السلطان قابوس، أكتوبر ٢٠٠١م، دار الجيل ــ بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٣٢٠ .

القيم في الإسلام، لا تخضع لتقييم وتصورات البشر؛ إنما هي صادرة من خالق البشر، والعالم بما يصلح أمورهم، ولذلك فهي معايير ثابتة.

وبهذا ترتبط القيم في القرآن الكريم بخصائص الرسالة الإسلامية، فهي ربانية، وشاملة لكل أفراد البشرية، على اختلاف الأزمنة، وتنوع الأمكنة، فهي تتصف بالمطلقية والثبات .

العـــدل

يقول الجوهري: العدل: خلاف الجور، يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومعدلته، فلان من أهل المعدلة، أي: من أهل العدل، ورجل عدل، أي: رضا ومقنع في الشهادة، وهو في الأصل مصدر، وقوم عدل وعدول أيضاً، وهو جمع عدل، وتعديل الشيء: تقويمه، يقال: عدّلته فاعتدل، أي: قوّمته فاستقام [١١].

ويقول الفيروزآبادي: العدل: ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، كالعدالة، والعدولة، والمعدلة، والمعدّلة [١٢].

وقال الراغب الأصفهاني في مادة عدل: العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة [١٣].

وقال الجرجاني: وقيل العدل مصدر بمعنى العدالة، وهو الاعتدال، والاستقامة، وهو الميل إلى الحق [١٤].

---

[١١] الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تح : أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين ـــ بيروت، ط ٤، ١٩٩٠ م، ص ١٧٦٠ ـــ ١٧٦١ .

[١٢] الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (عدل)

[١٣] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣٦٣.

[١٤] الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية ـــ بيروت، ١٩٩٥ م ص ١٤٧.

والمتتبع لإطلاق العدالة والعدل يجدها في أربعة [١٥] :

١- وضع الأمور في مواضعها، أي: مراعاة الاستحقاقات.

٢- التوازن والتعادل، اللذان يتصف بهما العالم؛ والذي سيفقد بدونه استقراره ونظامه، ولن تبقى هناك ضابطة لتشخيص حركته.

٣- مراعاة المساواة وعدم التفرقة، أي مراعاتها في مجال الحقوق، وهي من لوازم العدل.

٤- العدل إعطاء كل ذي حق حقه، من غير تفرقة بين المستحقين.

ومن خلال ذلك نستطيع أن نقول إن العدل هو: وضع الشيء في موضعه الصحيح؛ بإعطاء كل ذي حق حقه، من غير تفرقة، وعلى قدم المساواة.

المبحث الأوّل

رسالة القرآن الكريم إنسانيّة عالميّة

إنّ رسالة الإسلام التي جاء بها القرآن الكريم، رسالة عالمية إلى الناس أجمعين ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، رسالة عالمية شملت آفاق الزمان والمكان، فهي كما عبر عنها حسن البنا بقوله: " إنها الرسالة التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقًا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة " [١٦]، وهي قبل ذلك وبعده شاملة عامة، كما وصفها الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ

---

[١٥] يُنظر : الكندي، إبراهيم بن أحمد، الإسلام دين العدالة والسماحة، المؤتمر الثاني عشر : هذا هو الإسلام، الأزهر الشريف، ٣ صفر ١٤٢٣ هـ / ١٦ أبريل ٢٠٠٢ م، مجلد ٢، ص ٧٥٩ .

[١٦] القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١٠، ١٩٩٧م، ص ١٠٥ .

شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨).

رسالة هذه أحوالها، لابد أن يكون لها من المضامين ما يجعلها تتحلى بهذا الوصف، ومن الأهداف ما يميزها عن غيرها، ذلك أنها تستشرف مستقبل الإنسانية جمعاء، دون تفريق بين أفرادها، ومن أهم مضامينها:

١ ــ اعتمادها على مخاطبة الفطرة الإنسانية

عُرفت هذه الرسالة التي نزل بها القرآن الكريم بـ (الإسلام)، وهذا الاسم الذي شاع بين الناس منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا كما يقول محمد الغزالي "عنوان لحقيقة قديمة، بدأت مع الخليقة، وسايرت حياة البشر، وتسلسلت مع جميع الرسالات التي وصلت الناس بربهم الأعلى، وعرفتهم ما يريده الله منهم"[١٧].

فما هو الإسلام؟ ولماذا سميت هذه الرسالة بالإسلام؟

إن معنى كلمة الإسلام: (الانقياد والامتثال لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض) [١٨].

وعلى ذلك فالكون بما فيه وبمن فيه خاضع ممتثل للخالق، منقاد لأمره من حيث الفطرة، قال تعالى: ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ (آل عمران: ٨٣)، قال صاحب المنار: والحال أن جميع من في السموات والأرض من العقلاء قد خضعوا له تعالى، وانقادوا لأمره، طائعين وكارهين، وقد اختلفوا في بيان إسلام الطوع والكره؛ فذهب بعضهم إلى أن الإسلام هنا متعلق بالتكوين والإيجاد والإعدام؛ فهم في ذلك منقادون لتصرف الله. وذهب آخرون إلى أن الإسلام متعلق بالتكليف والدين فقط، وصاحب هذا القول يفسر الكره بما يكون عند الشدائد، كما في قوله تعالى:

﴿ **وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ (لقمان: ٣٢).

---

[١٧] الغزالي، محمد، هذا ديننا، دار الشروق ــ القاهرة وبيروت، ١٩٨٧م، ص ١١ .

[١٨] المودودي، أبو الأعلى، مبادئ الإسلام، دار الفكر، ص ٤ .

وهناك مذهب ثالث؛ وهو أن الإسلام أعمّ من إسلام التكليف وإسلام التكوين؛ فهو يشمل ما يكون بالفطرة، وما يكون بالاختيار [١٩].

ثم إنه بعد ذلك قصرت كلمة الإسلام في الاستعمال على الانقياد لأمر الله طوعًا [٢٠]؛ فكل من أذعن وخضع لأمر الله طائعًا مختارًا فهو مسلم. وبالنظر إلى واقع الإنسانية نجد أن الإنسان له في واقع حياته وجهتان:

الأولى: أنه منقاد لقانون الفطرة العام الذي ليس فيه اختيار، فهو مسلم بالجبر، أي أنه خاضع لناموس الحياة، الذي سنه الله لمخلوقاته عمومًا، شأنه شأن أي مخلوق في هذا الوجود، من شجر وزرع وثمر وحيوان ونجوم وكواكب وغيرها؛ فهو لا يولد ولا يحيا ولا يموت إلا وفق قانون الله، وكذلك أعضاء جسده تعدُ مسلمة؛ لأنها لا تعمل إلا وفق قانون الله العام [٢١]، وهذا موافق لما ذهب إليه بعض المفسرين في تفسير الآية السابقة؛ وهو أن هذا الإسلام متعلق بالتكوين.

الثانية: أنه بحكم ما ميزه الله تعالى عن غيره من المخلوقات، جعل له حرية الاختيار، وهذه حكمة تقتضيها طبيعة الإنسان، الذي أوتي قوة العقل والفهم والإدراك والتأمل؛ فهو بهذه القوة التي أوتيها يسلم بشيء وينكر آخر؛ فهو غير مقيد بعد أن أوضح الله له السبل ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ (البلد: ١٠).

فواضح مما تقدم أن الإسلام هو دين الفطرة الإنسانية ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ (آل عمران: ١٩) ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ (الروم: ٣٠).

وهذا يبين أن الفطرة الإنسانية يمكن أن تحيد أحيانًا عن نزعتها الفطرية السليمة، وتنعطف لتعبد غير الله.

---

[١٩] رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، دار الفكر، ط ٢، ١٩٩٠م، ج٣، ص ٣٥٤-٣٥٥ .

[٢٠] طبارة، عفيف، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣٠، ١٩٩٥م، ص ١٦ .

[٢١] يُنظر: المودودي، مبادئ الإسلام، ص : ٦-٨ .

لهذا كان الحق تبارك وتعالى يرسل رسله تترى، منذ آدم – عليه السلام – إلى محمد صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين – لتوجيه الإنسان إلى فطرته السليمة، لترتقي به إلى الكمال الإنساني، فهو سبحانه لم يكن ليترك الإنسان في تيه من أمره، تؤثر فيه حوادث الدهر، وتنحرف به الأهواء، فينحرف بفطرته؛ لأن الله خلقه لغاية وهدف، وهكذا كانت سنته سبحانه في خلقه، أن يرسل إليهم الرسل، ويترل الكتب، لصيانة هذه الفطرة من الانحراف، وبمعنى آخر ليبقى الإنسان إنسانًا، كما أراده خالقه، وكما هو جاعله (خليفة في الأرض) محافظًا على إنسانيته، لذلك قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ (فاطر: ٢).

٢ ــ شمولية المنهج وتكامله

جاء القرآن الكريم بمنهج متكامل للحياة الإنسانية، فهو عقيدة توضح التصور الصحيح، للكون، والحياة، والإنسان، عقيدة تُعرّف هذا الإنسان بنفسه، وسر خلقه، وسبب وجوده، وعلى أساس هذه العقيدة أقام شريعةً ونظامًا، لتقوم حياة الإنسان على أساس من التوازن الطبيعي، والتوافق الفطري، عقيدة شملت الوجود كله، ومن هنا تأتي أهمية المنهج القرآني، باعتباره الحل الأمثل لقضايا الإنسان، لأنه يعترف بالثنائية في طبيعته: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ (الروم: ٣٠) [٢٢].

فالمنهج القرآني لا يجعل من الإيمان شيئًا يعزل الإنسان عن واقع الحياة، أو يصرفه عن ملاذها، وإنما يجعله انبعاثًا للفكر، وحياة للوجدان، ومضاءً للعزيمة؛ مما يجعل منه سببًا للعمل المتصل، في غير يأس أو قنوط، لا تفرقة بين دنيا ودين، ما دام العمل خالصًا لرب العالمين.

---

[٢٢] يُنظر : بيجوفيتش، علي عزت، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة : محمد يوسف عدس، مجلة النور الكويتية، الكويت، ومؤسسة بافاريا، ألمانيا، ط١، ١٩٩٤م، ص ٣١٨ .

وهو منهج يمتاز بشموله وكليته، واستيعاب نظرته شؤون الحياة كافةً، ففيه تنظيم علاقة الفرد بنفسه، وعلاقته بخالقه، وعلاقته بأسرته، وعلاقته بمجتمعه، وعلاقة مجتمعه به، وفيه بيان للأصول والقواعد التي تحكم سير المجتمع والناس، وفق نظرة القرآن الشاملة، للكون والإنسان والحياة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ (الأنعام: ٣٨).

المنهج القرآني شامل في نظرته إلى الإنسان؛ إذ ينظر إلى الإنسان نظرة واقعية متكاملة متوازنة، فهو ينظر إلى الإنسان أنه مكون من مادة وروح، ولكل منهما مطالبه، فهو يوضح للإنسان كيفية التوافق والتوازن بين الجانبين، حيث لا يطغى على الإنسان الجانب المادي؛ فتكون حياته أشبه بالحيوان الذي لا يعي ولا يدرك من أين المسير وإلى أين، ولا يطغى أيضًا الجانب الروحي؛ فينعزل الإنسان عن الحياة الدنيوية، وما سخر الله له فيها من مقدرات.

وكذلك جاء المنهج القرآني بالتصور الشامل للعقيدة، فقد جاء مفسرًا لكل القضايا الكبرى في هذا الوجود، فأعطى التصور الكامل عن الإنسان، والكون، والحياة، كما أعطى تفسيرًا واضحًا للقضايا الكبرى التي شغلت الفكر الإنساني، ولا تزال تشغله، فالإنسان كان ولا يزال يتساءل عن أصله ونشأته ومصيره ونهايته ومنشئه، وعلاقته بخالقه، ودوره في هذا الوجود والعوالم الخافية والمستورة وراء هذا الكون المشهود، وعلاقته بتلك العوالم؛ فالعقيدة في منهج القرآن الشامل تجيب عن ذلك كله [٢٣].

وفي مجال التشريع شمل المنهج القرآني كل ما يتعلق بالإنسان في حياته، لبناء مجتمع إنساني يقوم على أساس تطبيق شرع الله، وذلك إنما يقوم على أسس ومبادئ إنسانية شاملة، أساسها العدل المطلق الشامل لكل أفراد الإنسانية.

وشمولية المنهج القرآني وإنسانيته تتمثل في أن المنهج القرآني نمط فريد، يتسع لكل

---

[٢٣] الأشقر، عمر سليمان، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، دار النفائس ــ عمان، ط٦، ١٩٩٧م، ص ٤٩ .

فالقيم الإنسانية من العدل والوفاء والأمانة والصدق واحترام الحقوق وصون الكرامة والحرية، وغيرها من القيم الإنسانية، تحترم لذاتها في منهاج رسالة الإسلام، وهذا إنما يدل على سعة شمولية منهاج القرآن وتكامله وإنسانيته.

٣ ــ عموم رسالة القرآن وعالميتها

جاءت رسالة القرآن عامة، بمعنى أنها تخاطب كل الأمم والشعوب، على اختلاف أجناسها وطبقاتها، بعيدًا عن العصبية الإقليمية، أو العنصرية، أو العرقية.

فهي ليست رسالة لشعب خاصٍّ، يزعم أنه شعب الله المختار، ولا لإقليم معين يجب أن تدين له كل أقاليم الأرض، فهي رحمة للعالمين جميعًا ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، جاءت لتجمع الناس على صعيد واحد، لا فرق بين جنس وجنس أو لون ولون، فالناس كلهم من نفس واحدة، لا يتفاضلون إلا بما يحققون من سمو بالإنسانية وقيمها.

ونظرة إلى الرسالة التي تضمنها القرآن الكريم، مقارنةً بالرسالات السابقة لها؛ نجد أن الرسالة قبل بعثة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – كانت تظهر بشكل قوميّ، أي أن رسل الله كانوا يُرسلون إلى أقوامهم خاصة، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ (إبراهيم: ٤)؛ لذلك كان نداء الرسول متوجهًا إلى قومه فقط – كما حكى القرآن الكريم ذلك عنهم – فكان نداؤهم: ﴿ يا قوم ﴾[٢٥].

أما في رسالته – صلى الله عليه وسلم – فقد انتقلت الرسالة من الإطار القوميّ

---

[٢٥] مثل قوله تعالى : ﴿ **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَيْـرُهُ** ﴾ (هود : ٥٠) وقوله تعالى : ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِـنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ**﴾ (الأعراف : ٨٥، هود : ٨٤) وغيرها من الآيات يُنظر : (هود : ٢٥، ٢٦، ٦١) .

إلى الإطار الإنسانيّ العام، فأصبح النداء: ﴿ **يا أيها النـــاس**﴾[٢٦]، ﴿ **يـــا أيهـــا الإنسان**﴾ [٢٧]، ﴿ **يا بني آدم** ﴾ [٢٨]، ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ [٢٩]؛ فالـــدعوة موجهة إلى جميع الناس بجميع أجناسهم ولغاتهم وألوانهم ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ (سبأ: ٢٨).

٤ ــ أصالة المصدر

رسم القرآن الكريم للإنسانية منهجًا مستقبليًا محددًا تسير عليـــه، ولا يمكـــن أن تستقيم أمورها إلا به؛ لأنه من وضع الخالق سبحانه وتعالى الذي يعلم ما يُصلح شأن مستقبلها.

إن قيام المجتمعات والحضارات يتطلب وجود منهج تسير عليه، وتحـــتكم إليـــه، وتترسم خطاه، وإن قيام المفكرين أو الفلاسفة، أو غيرهم من البشـــر بوضـــع منهاج، أو فلسفة مذهب معين، فإنهم إنما ينطلقون مـــن ردة فعـــل معينـــة، أو انعكاس لأوضاع مختلفة، وحسب مقتضيات أحوال مجتمع معين، لذلك فـــإنهم ينطلقون في تصوراتهم – لوضع حلول معينة – من تلك الأوضاع الآنيَّة، وحسب طبيعة الأحوال المجتمعية، فيتأثرون بتلك الأوضاع، كما أنهم يتأثرون بالبيئة التي تحيط بهم، فتنعكس على تصوراتهم للأمور، ولذلك فإنه لا بد لهذه المناهج البشرية أن تختلف، وأن تتباين ؛ لأنها تتأثر – غالبًا – بما يحيط بها.

أما المنهج القرآني، فإنه بعيد عن هذا كل البعد؛ فإنه من لدن حكيم خبير، إنـــه يشرع للإنسانية قبل وجودها، راسماً أهدافها وغاياتها، فهو عالم بما يصلحها وما

---

[٢٦] يُنظر مثلاً : البقرة : ٢١، ١٨٦، النساء : ١، ١٧٠، ١٧٤، الأعراف : ١٥٨، يونس : ٢٣، ٥٧، ١٠٤، ١٠٨، الحج : ١، ٥، ٤٩، ٧٣، وغيرها كثير في القرآن الكريم.

[٢٧] يُنظر مثلاً : الانفطار : ٦، الانشقاق : ٦ .

[٢٨] يُنظر مثلاً : الأعراف : ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥، يس : ٦٠ .

[٢٩] يُنظر مـــثلاً : البقـــرة : ١٠٤، ١٥٣، ١٧٢، ١٧٨، ١٨٣، ٢٠٨، ٢٥٤، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٨، ٢٨٢، آل عمران : ١٠٠، ١٠٢، ١١٨، ١٣٠، ١٤٩، ١٥٦، ٢٠٠، النساء : ١٩، ٢٩، وغيرها .

يفسدها، واضعاً الحلول المناسبة لما يعتريها من أحوال، على مر العصور والدهور، وفي أي مكان، قال تعالى ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (الملك: ١٤)، بلى إنه عالم بخفايا الصدور ودقائق الأمور ﴿ **وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾ (طه: ٧)، فعندما أنبأ الله ملائكته بأنه جاعل في الأرض خليفة، عجبوا من ذلك وتساءلوا قائلين: ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾ (البقرة: ٣٠)، فأجابهم الحق تبارك وتعالى: ﴿ **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة: ٣٠).

إن المنهج القرآني؛ لم يأتِ نتيجة لإرادة فرد، أو إرادة أسرة، أو إرادة طبقة، أو إرادة حزب، أو إرادة شعب، وإنما جاء نتيجة إرادة حكيمة، من لدن حكيم خبير، أراد بهذا المنهج الهدى، والنور، والحق، والعدل، والشفاء، والرحمة للإنسانية جميعًا، على اختلاف أزمانها وظروفها وأحوالها، قال تعالى مخاطبًا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١).

إن هذا المنهج هو وحده القادر دون سواه على منح البشرية ما تحتاجه من القيم المطلقة، التي لا بد أن يكون مصدرها من خارج الإنسان، لا أن تكون منطلقة من الإنسان نفسه، حتى يكون لهذه القيم قوة الإلزام، والقدرة على التأثير في الحياة الإنسانية [٣٠].

المبحث الثاني

قيمة العدل في القرآن الكريم

بعد إلقاء الضوء على رسالة الله الخالدة، ومنهاجه الواضح لمستقبل الإنسانية، نعرض في هذا المبحث لنقطة من بحر القيم الإنسانية، التي حواها القرآن

---

[٣٠] ــ العمري، أكرم ضياء، الإسلام والوعي الحضاري، دار المنارة ــ جدة، ط١، ١٩٨٧م، ص ١٠١.

الكريم، لتكون أنموذجًا واضحًا، تتلمس الإنسانية من خلاله مصابيح الدجى الخافتة، لتتنوّر بنور الأمل المنشود، في زمن تُفتقد فيه مصداقيات القيم الإنسانية، التي يتغنى بها المجتمع الإنساني.

أولاً: أهمية العدل للمجتمع الإنساني

العدالة الاجتماعية ناتجة أساسًا من الحقوق التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان، الذي كرّمه وميّزه عن سائر المخلوقات، حيث قال تعالى في كتابه العزيز﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وبناءً على هذا؛ فإن الإنسان يحظى في الإسلام بالحقوق الفردية والاجتماعية الكثيرة، وأهم هذه الحقوق العدالة، التي هي وسيلة حفظ الحقوق الأخرى.

يقول عالم الإسلاميات الألماني (ماكس هورتن [٣١]) : " إن القيمة الكبرى التي يعلّقها الإسلام على موضوع العدالة، لهي دليل كافٍ على أن المسلم يعرف قيمة وكرامة الفرد الإنساني، ويحترمها " [٣٢].

والحقيقة أن العدل في التصور القرآني، مرتبط ارتباطًا وثيقًا بحرية الإنسان، ومن أجل ذلك فإن فهم التصور القرآني للعدل، يتوقف على فهم الدور الحاسم للحرية، ويرى أحد المفكرين المسلمين وهو رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ —

---

[٣١] هو طبيب عيون مشهور، عاش في القاهرة، من أعظم الباحثين في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ولد عام ١٨٧٤ م في مدينة هلدسهيم بألمانيا من أسرة يهودية عريقة، درس الطب في جامعات مختلفة بألمانيا، وعمل طبيباً في مدن مختلفة بألمانيا، سافر إلى مصر عام ١٩٠٠م، واستقر بالقاهرة عام ١٩٠٣م، ودرس العربية وأتقنها، وفتح عيادة لعلاج العيون، وشارك بنشاط واسع في الحركة الطبية بمصر، توفي بمصر عام ١٩٤٥م . يُنظر: بدوي، عبدالرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين — بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م، ص ٥٤٠.

[٣٢] بالتيش، إسماعيل، البعد الأخلاقي العالمي وتحدّيات العصر من وجهة نظر إسلامية، المؤتمر العام التاسع (الإنسانية ومستقبل الحضارة : وجهة نظر إسلامية) عمّان ٢٣ — ٢٥ من المحرّم ١٤١٤ هـ / ١٣ — ١٥ يوليو ١٩٩٣ م، ص ٤٣٩ .

١٨٧٢ م) أن العدل والحرية متماثلان؛ حيث قال: " وما يسمونه الحرية في فرنسا، ويرغبون فيه، هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والإنصاف، وذلك لأن معنى الحكم بالحرية، هو إقامة التساوي في الأحكام والقوانين، حيث لا يجور الحاكم على إنسان " [٣٣].

وإذا كان العدل هو احترام حقوق الناس، وإعطاء كل ذي حق حقه، فإنه الأساس في اطمئنان الأفراد الذين تتكون منهم الجماعات الإنسانية، لأنهم يشعرون بأنهم سواء في جميع الحقوق، ولا شك أن الاطمئنان بالمساواة في العدل، مما يؤدي إلى تماسك الأفراد بجماعاتهم، ويدعوهم إلى حمايتها في إخلاص، والذود عنها بكل طاقاتهم [٣٤].

"إن العدالة أساسها المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، والمساواة أمام القانون، والمساواة في المسؤولية المدنية والجنائية، وفي استحقاق المكافأة على فعل الخير، والعقوبة على فعل الشر، دونما تفرقة على أساس اللون والجنس والدين"[٣٥]، يقول الله تعالى ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ (الحجرات: ١٣) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " **لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى**"[٣٦].

---

[٣٣] عزت قرني، العدل والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، سلسلة عالم المعرفة ــ الكويت، ١٩٨٠ م، ص ٧ .

[٣٤] محمد شهاب، الإسلام دين العدالة والإنسانية، المؤتمر الثاني عشر : هذا هو الإسلام، الأزهر الشريف، ٣ صفر ١٤٢٣ هـ / ١٦ أبريل ٢٠٠٢ م، مجلد ٢، ص ٨٠٣ .

[٣٥] مأمون عبد القيوم، الإسلام دين العدالة والسماحة والرحمة (رئيس جمهورية مالديف)، المؤتمر الثاني عشر : هذا هو الإسلام، الأزهر الشريف، ٣ صفر ١٤٢٣ هـ / ١٦ أبريل ٢٠٠٢ م، مجلد ٢، ص ٧١٩ .

[٣٦] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة ــ القاهرة، حديث : شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (٢٣٥٣٦)، ج ٥، ص ٤١١.

ثانيًا: تقرير القرآن الكريم لمبدأ قيمة العدل

ليس بوسعنا في مثل هذا البحث أن نتطرّق إلى آفاق وتطلعات القرآن الكريم في تقرير مستقبل قيمة العدل، فذلك يحتاج إلى مجلدات، ولكن حسبنا أن نغترف قطرة من فيض ما قرّره القرآن الكريم حيال هذا الموضوع:

أ ــ العدل الذي قرّره القرآن عدل مطلق

وبداية فإن العدل الذي يريده القرآن الكريم هو العدل المطلق، فهو صبغة الله وكلمته الخالدة التي أنزلها على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ** ﴾ (الأنعام: ١١٥)، لذا فقد أمر به سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما ورد على لسانه قول الله تعالى: ﴿**وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ** ﴾ (الشورى: ١٥).

وهذا المبدأ الذي قرّره القرآن الكريم، وأُلزم سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بتطبيقه على أرض الواقع، هو أمر إلهي يجب تطبيقه؛ لتحقيق العبودية المطلقة لله سبحانه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**﴾ (النحل: ٩٠)، وبناءً على هذا؛ فإن العدل لا يتجزّأ، ولا يجوز أن يكون متحيزًا، أو منحازًا لطائفة معينة، أو فريق معين من الناس، وهذا ما يطالب به القرآن الكريم في صراحة ووضوح، يتضح ذلك بجلاء من خلال الوصايا القرآنية الأربع الآتية [٣٧]:

١- الالتزام بالعدل حتى في حالة ما إذا كان الأمر يتعلق بشخص الإنسان أو والديه أو أقاربه ومحبيه ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا**

---

[٣٧] يُنظر : زقزوق، محمود حمدي، مفهوم العدل في التصور الإسلامي، المؤتمر الثاني عشر : هذا هو الإسلام، الأزهر الشريف، ٣ صفر ١٤٢٣ هـ / ١٦ أبريل ٢٠٠٢ م، مجلد ٢، ص ٧٤١ .

﴿ أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٣٥)

٢- الالتزام بالعدل بين الناس، بصرف النظر عن وضعهم الاجتماعي؛ من حيث الغنى والفقر، أو الجاه والنفوذ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء: ٥٨).

٣- الالتزام بالعدل، وعدم السير وراء الأهواء والميول، أو الأنانية، أو الخوف من أصحاب النفوذ، أو مشاعر الكراهية إزاء بعض الناس، أو بعض الجماعات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨).

ب ــ العدل والحق

من خلال تعريفنا للعدل بأنه إعطاء كل ذي حق حقه، أو وضع الأمور في مواضعها الحقة؛ فإنه يتبيّن لنا أن هناك صلة وثيقة بين العدل والحق [٣٨]، وبجانب ذلك إذا نظرنا في آيات القرآن الكريم نجد أنه يستخدم كلمة الحق استخدامات متعددة، والسياق هو الذي يحدد المعنى المراد، والذي يعنينا هنا أن نعرض لبعض الآيات التي استخدم فيها القرآن الكريم الحق بمعنى العدل، والواضح أن كل ما جاء عن الحكم بالحق فقد وردت الآيات الكريمة توضّح أن الحكم يجب أن يكون بالعدل، وفي هذا دلالة على تلازم ووحدة الحق والعدل، ومن ذلك قول الله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ (النساء:

---

[٣٨] مفهوم الحق كما وضّحته معاجم اللغة أنه الثابت الصحيح، وهو ضد الباطل، وهو كثير الورود في القرآن الكريم، والمراد منه على سبيل التيقن يختلف باختلاف المقام الذي وردت فيه الآيات الكريمة، ومعناه العام لا يخلو من الثبوت والمطابقة للواقع، ومن معاني الحق : العدل، والصدق، والبيّنة الواضحة، والحق ضد الباطل . يُنظر : ابن منظور، لسان العرب، مادة (حقق) ج ٣، ص ٢٥٥ وما بعدها، والبنا، جمال، نظرية العدل في الفكر الإسلامي، دار الفكر الإسلامي ــ القاهرة، ص ٩٣ .

١٠٥)، وقوله ﴿... خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ (ص: ٢٢)، وقوله ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص: ٢٦).

من ذلك ندرك أن العدل هو الحق مطبقًا، كما أن الحق هو العدل مجردًا [٣٩].

ومن جانب آخر، نجد ارتباطًا وثيقًا بين الحق والعدل، وبين الله سبحانه وتعالى، فهما اسمان من أسماء الله تعالى، وأنه سبحانه أرسل الرسل وأنزل الكتب بالحق، وأقام السموات والأرض بالحق، ولا بد أن يتمخض هذا الربط ما بين العدل والحق من ناحية، وما بينهما وبين الله تعالى من ناحية أخرى، عن وجود حقيقي للعدل، وأنه أساس الرسالات النبوية، وما تقيمه هذه الرسالات من مجتمعات إنسانية [٤٠].

ب ــ مظاهر العدل وقضاياه المهمة في واقع العلاقات الإنسانية

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم واقع رسالات الأنبياء السابقين، وأن أساس هذا الرسالات تقوم على تحقيق قيمة العدل، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥) كما ذكر واقع أممهم الذين تمسكوا بهذا المبدأ كقيمة في علاقاتهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٩) وقال: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨١).

كما نجد التوجيه الرباني إلى بعض مظاهر العدل وقضاياه المهمة في واقع العلاقات الإنسانية والمعاملات والمواقف، فيقول مشيرًا إلى أهمية العدل في القول، عبر الشهادات وإثبات الحقوق في واقع تلك العلاقات والمعاملات ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا

---

[٣٩] البنا، جمال، نظرية العدل في الفكر الإسلامي، دار الفكر الإسلامي ــ القاهرة، ص ٩ .

[٤٠] ــ المرجع السابق، الصفحة ذاتها .

نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

ويبيّن القرآن الكريم أن سمو العدل وتعاليه عن أن يتساوى مع الركود والانحراف والشر؛ هو السبيل إلى بلوغ المكانة الرفيعة، التي يحتلها صاحب السلوك العادل، في مقابل هذا الذي لا يرجى منه خير، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**

(النحل: ٧٦).

ثالثاً : نماذج تطبيقية لقيمة العدل في الإسلام

إن المطلوب ليس فقط مجرد عدالة تحكم، بل عدالة تعمل بطريقة فعّالة على بقاء الإنسانية حيّة في النفوس، وأن تمنح الناس الفرصة ليمارسوا حياتهم في كرامة [٤١].

إن التصور القرآني لقيمة العدل، وجد طريقه إلى الممارسة الفعلية على أرض الواقع، و لم يظل فقط في إطار التصورات النظرية.

وقد جاء التطبيق العملي لهذه القيمة، فيما روي من أن أسامة بن زيد قد تشفّع لدى النبي صلى الله عليه وسلم في أمر العفو عن المرأة المخزومية، التي سرقت ــ وكانت من أسرة لها مكانتها في المجتمع ــ وقد رفض النبي صلى الله عليه وسلم ذلك رفضًا قاطعًا، مؤكّداً ضرورة أن يطبّق على الجميع معيار واحد، بصرف النظر عن أي اعتبار آخر، وقال في ذلك " **إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** " [٤٢].

---

[٤١] يُنظر : زقزوق، محمود حمدي، مفهوم العدل في التصور الإسلامي، مجلد ٢، ص ٧٤٢ .

[٤٢] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب قطع السارق الشريف وغيره، حديث رقم (٣١٩٦) .

كما ترجم المسلمون هذه القيمة الرفيعة، إلى سلوك واقعيّ على مـرّ التـاريخ، ونذكر شاهدًا على ذلك ما قام به صلاح الدين الأيوبي، الذي ضرب مثلاً حيًّا على السلوك الإسلامي العادل في تعامله مع الصليبيين، بعد فتح القـدس عـام ١١٨٧م، فقد عامَلَ الصليبيين العائدين إلى بلادهم بتسامح منقطع الـنظير، و لم يمنحهم فقط حريتهم، بل زوّد الفقراء منهم بما يكفيهم من المؤونـة في طريـق عودتهم، و لم يمس أماكنهم المقدسة بسوء، على الرغم من مطالبة بعض المسلمين بمعاملة الصليبيين بمثل ما عاملوا به المسلمين، عندما استولوا على القـدس عـام ١٠٩٩م، ولكن صلاح الدين نهرهم عن المساس بالأمـاكن المقدسـة، وأمـر باحترامها والتزام روح التسامح تجاه المسيحيين [٤٣].

وقد طبّق القضاة المسلمون قواعد العدالة الإسلامية بدقة متناهية، ورعوها أكمل رعاية، في كل القضايا التي عرضت عليهم، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه يذهب إلى شريح القاضي، يقول له: إنه وجد درعًا لـه عنـد يهودي، ويطلب من القاضي أن يحكم له بالدرع، ويستشهد بابنه الحسن علـى دعواه، فرد شريح شهادة الحسن، قائلاً: إن شهادة الابن لا تجوز للأب، وحكم بالدرع لليهودي؛ لأنه صاحب اليد، فبُهت اليهودي من عدالة الإسلام، الـتي حكمت له، و لم تحكم لأمير المؤمنين، فنطق بالشهادتين، وأسلم لتوه، وأقر بـأن الدرع درع علي، ورده إليه [٤٤].

هكذا جسّد الرعيل الأول من المسلمين هذه القيمة في واقع حياتهم، و لم يُفرّقـوا بين قوي وضعيف، أو رئيس ومرؤوس، أو مسلم وغيره، فكل أفراد الإنسـانية سواسية في الحقوق الإنسانية المقدرة من خالق الإنسان، الـذي أكسـبه هـذه الحقوق، بمجرد أنه إنسان، وهكذا اعترف العالم ومفكـروه بشـفافية تعامـل

---

[٤٣] سعيد عاشور، الحركة الصليبية، القاهرة، ١٩٧٦م، ج ٢، ص ٧٩٠ .

[٤٤] مأمون عبدالقيوم، الإسلام دين العدالة والسماحة والرحمة، ص ٧١٩ .

المسلمين مع هذا المبدأ، يقول البروفسور ستوبارت " لم أجد أمة قامت فيها العدالة كما رأيت بأمة محمد وخلفائه " [٤٥].

وإذا كان الحال كذلك في صدر الإسلام، فماذا عن واقعنا اليوم؟ هذا ما سنتطرق إليه في الموضوع الآتي:

رابعًا: استشراف القرآن الكريم لقيمة العدل

أصبح عالمنا اليوم بمثابة قرية كونية، يعتمد كل من فيها على الآخر؛ ولذ فإننا ندرك في وقتنا الراهن، مدى أهمية تضامن الإنسانية، ووحدة جهودها، في تحقيق قيمة العدل، كما ندرك أيضًا أن عملية تطبيقها، وإن كان ممكنًا؛ إلا أنه ليس بالأمر الهيّن، خاصة أننا نعيش عالمًا طغت عليه الماديات، وأصبحت الإنسانية تجري وراء المصلحة المادية، ونرى الإنسان في عالمنا يُقدّم المصلحة الشخصية، ولو على حساب القيم.

لقد جعل القرآن الكريم العدل قوامًا على الحق، ملزمًا بضرورة ممارسته ممارسة عادلة، في مختلف شئون الحياة، ووضع لذلك الضوابط على التصرفات الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية كافّة، التي يمكن أن يمارسها كرجل أسرة أو ربة بيت أو حاكم أو تاجر ... إلخ [٤٦].

ونجد اهتمام القرآن الكريم بهذه القيمة واضحًا جليًا، وفي ذلك دلالة كبيرة على استشراف القرآن الكريم لهذه القيمة، وأنها ضرورية للمجتمعات الإنسانية، وأن فقدها أو التفريط فيها، يجعل الحياة شبيهة بحياة الغاب، التي لا تقيم للقيم وزنًا، ولا للحياة معنًى.

إن استشراف القرآن الكريم لقيمة العدل؛ يتضح في التأكيد عليها من نواحي عدة:

---

[٤٥] مكتبي، نذير محمد، شعاع من هدي الإسلام، دار البشائر الإسلامية ـــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ص ١٧٣.

[٤٦] ـــ يُنظر : البنا، جمال، نظرية العدل في الفكر الإسلامي، ص ١٠٧ .

ـــ فورود مصطلح العدل ومشتقاته في كثير من آيات القرآن الكـــريم؛ فيه بيان واضح، ودلالة عميقة، على أهمية هذه القيمة في حياة الإنسانية؛ فقـــد شهد الله سبحانه وتعالى على نفسه به ﴿ شَهِدَ اللّـــهُ أَنَّـــهُ لاَ إِلَـــــهَ إِلاَّ هُـــوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١).

ـــ كما أن إبراز القرآن الكريم قيام الشرائع السماوية المختلفة علـــى أساس قيمة العدل؛ يُبرهن تأكيد هذه الشرائع، على أهمية هذه القيمة في حيـــاة المجتمعات والأمم المتعاقبة، على مر حقب التاريخ البشري ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤)، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُـــومَ النَّـــاسُ بِالْقِسْـــطِ﴾ (الحديد:٢٥)، ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْـــطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (يونس: ٤٧)، يقول ابن قيم الجوزية: " فإن الله أرســـل رسله، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل، الذي قامت به السّموات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صـــبحه بـــأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه " [٤٧] . (٢٦٧/٤)

ـــ ولذا فإن من الطبيعي أن يأمر الله سبحانه وتعالى البشر بتطبيق قيمة العدل، في إطار ما أنيط بهم من تكاليف، وعلى مختلف المســـتويات، وفي شـــتى الأحوال ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ (الأعراف: ٢٩)، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لله شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَـــى أَلاَّ تَعْـــدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٨)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣)،

---

[٤٧] ـــ أعلام الموقعين عن رب العالمين، تح : طه عبد الرؤوف، دار الجيل ـ بيروت، ١٩٧٣م، ج ٤، ص ٣٧٣ .

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ (يونس: ٤).

ـــ اتصاف هذه القيمة بالمرونة في التطبيق؛ حيث إن القرآن الكريم لم يحدد طريقة معيّنة لتطبيقها، أو ممارستها، وإنما جعل سبيل ذلك ما يراه النـــاس مناسباً، يقول ابن قيّم الجوزية " والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته في نوع واحد، وأبطل غيره من الطرق، التي هي أقوم منه، وأدل وأظهر، بل بيّن بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل، وقيام الناس بالقسط ؛ فأي طريق استخرج بها الحق، ومعرفة العدل، وجب الحكم بموجبها " [٤٨] .

ـــ ومن ذلك يتضح أن عناية القرآن الكريم بهذه القيمة، وجعلها القيمة الكبرى التي تتصدر جميع القيم؛ هو الحفاظ على كيان الإنسان وحقوقه؛ فالعدل هو ضمان الحياة الوادعة والهادئة والآمنة والمستقرّة، والتي فيها يحظى الإنســـان بحقوقه، ويتمتع بحرياته المشروعة، في يسرٍ وسهولة، بلا عناء ولا معوقات، وبلا أغلال ولا قيود، وهو ما يعني أنّ السلطة في الإسلام حين تقوم بممارسة أعمالها فلا بد أن يكون ذلك دائرًا في نطاق العدل الشامل حتى تحظى بالمشروعية [٤٩] .

أما لماذا لا يتحقق العدل في حياتنا كما ينبغي ؟! فإن القرآن الكريم جلّى هـــذه القيمة بما لا يدع أي مجال لغموضها، وجعل السبب في تعطيلها الإنسان نفسه، فإن مناط العمل بشرع الله، الذي أنزله على نبيه، هو الإنسان، وتغيير واقع الحال إنما يكون منه، يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّـــى يُغَيِّـــرُوا مَـــا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ (الرعد: ١١)، وإذا لم يتم تغيير في واقع حياة الإنسانية بالنســـبة لهذه القيمة أو غيرها؛ فإن الواقع لن يتغيّر من تلقاء نفسه.

ونجد القرآن الكريم في آية أخرى، يشدد النكير على الإنسانية الغافلـــة

---

[٤٨] المرجع السابق، الصفحة ذاتها .

[٤٩] العلي، محمد بن صالح، الديمقراطية وفاق أم خلاف (٧/٣)، مؤسسة الإسلام اليوم، الرابط : /http://www.islamtoday.net/mobile

عن تطبيق هذه القيمة، وجعل تطبيقها بالقوة، فيقول متسائلًا ﴿ **وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا**﴾ (النساء: ٧٥).

فالخطاب هنا ــ كما يرى الإمام محمد عبده ــ لضعفاء الإيمان من المسلمين؛ ليثير فيهم النَّخْوَة، وهزّ الأَرِيحِيَّة الطبيعيَّة، وإيقاظ شعور الأَنَفَة والرحمة؛ فإن رابطة الإيمان أقوى من روابط الأنساب والأوطان، وإنْ جَهِلَ ذلك في هذا الزمان من لا حَظَّ لهم من الإسلام [٥٠].

والقتال في نفسه أمر قبيح، ولا يجيز العقلُ السَّليم ارتكاب القبيح إلا لإزالة شَرٍّ أقبح منه، والأمور بمقاصدها وغاياتها، ولذلك بيَّن القرآن الكريم في عدَّة مواضع حكمة القتال، وكونه للضَّرورة وإزالة المفسدة، وإدالة المصلحة، ولم يكتف هنا ببيان ما في هذه الآية من كون القتال المأمور به مقيَّدًا بكونه في سبيل الله، وهي سبيل الحق والعدل، وإنقاذ المستضعفين المظلومين من الظلم، حتى أكده بإعادة ذكره، مع مقابلته بضدِّه، وهو ما يقاتِلُ الكفارُ لأجله، فقال: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ والطَّاغوت**﴾ (النساء: ٧٦) والطاغوت من المبالغة في الطُّغْيَان، وهو مُجَاوَزَةُ حدود الحق والعدل والخير، إلى الباطل [٥١].

ومن هنا يتبيّن أن نصرة المستضعفين المظلومين المسلوبة حقوقهم؛ من القيم التي يجب أن تسعى الإنسانية لتحقيقها، فهي من صلب الدين وهديه.

إن الإنسان في الإسلام مطالب ألّا يقف من الظلم موقفًا سلبيًّا، بل يجب عليه أن يحاول منع أي ظلم ورفعه، لتحقيق العدالة في الأرض، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قالوا يا رسول**

---

[٥٠] تفسير المنار، ج ٥، ص ٢٥٩ .

[٥١] المرجع السابق، الصفحة ذاتها .

الله هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالـــمًا ؟ قال تأخذ فوق يديـــه" [٥٢]، وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن لا يدعوا مجالاً للظلم والاعتداء؛ وذلك عن طريق قيامهم بواجب الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكـــر، يقول الله تعالى ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَـــأْمُرُونَ بِـــالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ (آل عمران: ١٠٤)، كما يقول الله تعالى ممتدحًا الأمة الإسلامية، التي لا ترضى أن ترضخ للفوضى، بل تحاول بما أوتيت من قـــوّة أن تجعل المجتمع نقيًا من دنس الظلم والمنكر: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَـــتْ لِلنَّـــاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ (آل عمران: ١١٠). كما أنه لا ينبغي أن يحمل الظلم الإنسان على اليأس من السعي لتحقيق العدل، وعليه أن يدرك أنه مهما كثر الظلم فإنه لن يستطيع محو العدالـــة مـــن وجـــه البسيطة، يبيّن هذا الرباط الوثيق بين اتباع الحق والعدل، يقـــول الله تعـــالى: ﴿ **وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ (الأعراف: ١٨١). فهذه الآية تدل ـــ كما روى الفخر الرازي عن الجبائي ـــ على أنه لا يخلو زمان البتة عمّن يقوم بالحق، ويعمل به، ويهدي إليه، وأنهم لا يجتمعون في شيء من الأزمنة على الباطل [٥٣].

---

[٥٢] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المكتبة العصرية ـــ بيروت، ط ٣، ١٩٩٧ م، حديث رقم (٢٤٤٤) باب : أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ج ٢، ص ٧٣٣ .

[٥٣] الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت، ط ٢، ١٩٩٧ م، مـــج ٥، ج ١٥، ص ٤١٧ . هكذا يرى الجبائي، ووافقه الثعالبي حيث يرى أن هذه الآية تتضمن الإخبار عن قوم أهل إيمان واستقامة وهداية، وظاهرها يقتضي كل مؤمن كان من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة . يُنظر : الثعالبي، عبدالرحمن بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المكتبة العصرية ـــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م، ج ٢، ص ٦٥، ويذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم . يُنظر : المرجع السابق، وللفخر الرازي، التفسير الكبير، مج ٥، ج ١٥، ص ٤١٧، وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م، ج ٢، ص ٢٣٥، وابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، مج ٤، ج ٩، ص ١٩٠، والمراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية ـــ بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م، ج ٣، ص ٤٤٧ .

الخـــاتمـــــة

إن المنهج القرآني منهج شامل متكامل للحياة البشرية، يتناول بالتنظيم والتوجيه والتطوير كل جوانب الحياة الإنسانية؛ في جميع حالاتهـــا، وفي كـــل صـــورها وأشكالها، فهو منهج قائم على العدل المطلق أولاً، لأن الله يعلم حق العلم بِـــمَ يتحقق العدل المطلق، وكيف يتحقق، وثانيًا لأنه سبحانه رب الجميع، فهو الذي يملك أن يعدل بين الجميع.

إن تطلعات القرآن الكريم المستقبلية تختلف تمامًا عن دواعي تطلعات أي حضارة من الحضارات الأخرى؛ ذلك أن مبتغى تلك الحضارات وغاياتها إنما هو رفاهية الحياة، بينما محور الحياة القرآنية هو خالق الإنسان، والغاية هي أسمـــى مـــن أن تكون إشباع الرغبات، إنما هي إرضاء رب الكون بأســـره، ففيهـــا الســـعادة الحقيقية.

هذا وقد خرجت هذه الورقة البحثية بالنتائج الآتية:

ـــ القرآن الكريم رسالة إنسانية عالمية، ومنهج قويم، فيه المبادئ والقيم والتشريح الحكيم، أرادا الله أن تكون دستورًا وقانونًا يُطبّق في واقع الحياة الإنسانية؛ لذلك حملت من المضامين والأهداف ما يجعلها تتوجه إلى الإنسانية أجمع، على اختلاف أجناسها، وتنوع أعراقها، وتباين أمكنتها، وقد اعتمدت على قواعد أصيلة ثابتة؛ أهمها : اعتمادها على مخاطبة الفطرة الإنسانية، التي لا تتغير ولا تتبدل علـــى أي حال، ثم شمولية المنهج القرآني وتكامله، واستيعاب نظرته شؤون الحياة كافـــةً، كما أن رسالة القرآن الكريم عالمية موجهة إلى شعوب العالم، هذا فضـــلاً عـــن كونها ربانية صادرة عن خالق الإنسانية والعالم بأحوال صلاحِها. فاستشـــراف القرآن الكريم للقيم الإنسانية هو أمر غاية في الدقة، فهو صادر من عليم خـــبير، عرف ما يصلح الإنسانية قبل وجودها، ولذلك فإن تشريعات القرآن الكريم مبنيّة على مصالح العباد في أي زمن، وعلى أي حال.

ـــ من منطلق عالمية القرآن الكريم وإنسانيته؛ استتبع أن كل شيء يكون صادرًا

عنه إنما ينطلق من ميزان العدل الإلهي، الذي لا يفرق بين فرد وفرد، ولا أمة دون أخرى، إنما مساواة في الحقوق والواجبات، فالناس سواسية أمام عدل الله؛ وهذا نابع من كون أن الناس يتمتعون بالحرية التي منحهم الله إياها. إن العدل الـــذي جاء به القرآن الكريم عدل مطلق، فكل شيء يجب أن يوضع في نصابه.

وأخيرًا خرجت هذه الدراسة بالتوصيات الآتية:

١- من الضروري قيام دراسات متعمّقة في استشراف الرسالة الخالدة (القرآن الكريم) للقيم الإنسانية، وتجليتها وتقديمها للمجتمعات، وإبرازها بوصفها أوجهًا إعجازية للقرآن الكريم، وبيان أن القرآن الكريم صادر من حكيم خبير.

٢- تنظيم مؤتمرات، وعمل ندوات، تتناول هذا الجانب؛ لإظهار جوانـــب عظمة القرآن الكريم، وبيان أوجه إعجازه، في الجوانب المختلفة.

قائمة المراجع

ـــ أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد**، مؤسسة قرطبة ـــ القاهرة .

ـــ الأسد، ناصر الدين، **القيم بين الخصوصية والعمومية**، المؤتمر الثقافي العـــربي السابع (الثقافة والقيم) سلطنة عمان ـــ جامعة الســـلطان قـــابوس، أكتـــوبر ٢٠٠١م، دار الجيل ـــ بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م.

ـــ الأشقر، عمر سليمان، **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، دار النفـــائس ـــ عمـــان، ط٦، ١٩٩٧م .

ـــ بالتيش، إسماعيل، **البعد الأخلاقي العالمي وتحدّيات العصر من وجهة نظـــر إسلامية**، المؤتمر العام التاسع (الإنسانية ومستقبل الحضارة: وجهة نظر إسلامية) عمّان ٢٣ ـــ ٢٥ من المحرّم ١٤١٤ هـــ / ١٣ ـــ ١٥ يوليو ١٩٩٣ م.

ـــ البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، المكتبة العصرية ـــ بيروت، ط ٣، ١٩٩٧ م.

ـــ بدوي، عبدالرحمن، **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين ـــ بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م.

ـــ البنا، جمال، **نظرية العدل في الفكر الإسلامي**، دار الفكر الإسلامي ـــ القاهرة.

ـــ بيجوفيتش، علي عزت، **الإسلام بين الشرق والغرب**، ترجمة: محمد يوسف عدس، مجلة النور الكويتية ـــ الكويت، ومؤسسة بافاريا ـــ ألمانيا، ط١، ١٩٩٤م.

ـــ الثعالبي، عبد الرحمن بن مخلوف، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، المكتبة العصرية ـــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م.

ـــ الجرجاني، علي بن محمد، **كتاب التعريفات**، دار الكتب العلمية ـــ بيروت، ١٩٩٥ م .

ـــ الجزري، أبو السعادات المبارك محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تح: طاهر أحمد، ومحمود محمد، المكتبة العلمية ـــ بيروت، ١٩٧٩م.

ـــ الجوهري، إسماعيل، **الصحاح**، تح: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين ـــ بيروت، ط٤، ١٩٩٠ م.

ـــ الراغب الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، دار الكتب العلمية ـــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.

ـــ رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، دار الفكر، ط ٢، ١٩٩٠م .

ـــ زقزوق، محمود حمدي، **مفهوم العدل في التصور الإسلامي**، المؤتمر الثاني عشر: هذا هو الإسلام، الأزهر الشريف، ٣ صفر ١٤٢٣ هـ / ١٦ أبريل ٢٠٠٢ م .

ـــ السالمي، حمد بن سليمان، **التصنيف الخماسي للقيم الإنسانية من منظـــور إسلامي**، المؤتمر الثقافي العربي السابع (الثقافة والقيم) سلطنة عمان ـــ جامعـــة السلطان قابوس، أكتوبر ٢٠٠١م، دار الجيل ـــ بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م.

ـــ سعيد عاشور، **الحركة الصليبية**، القاهرة، ١٩٧٦م.

ـــ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الخصائص الكبرى**، دار الكتب العلمية ـــ بيروت، ١٩٨٥م

ـــ طبارة، عفيف، **روح الدين الإسلامي**، دار العلم للملايين ـــ بيروت، ط٣٠، ١٩٩٥م .

ـــ عزت قرني، **العدل والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة**، سلسلة عـــالم المعرفة ـــ الكويت، ١٩٨٠م.

ـــ العمري، أكرم ضياء، **الإسلام والوعي الحضاري**، دار المنارة ـــ جدة، ط١، ١٩٨٧م .

ـــ الغزالي، محمد، **هذا ديننا**، دار الشروق ـــ القاهرة وبيروت، ١٩٨٧م .

ـــ الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العـــربي ـــ بـــيروت، ط، ١٩٩٧م.

ـــ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة ـــ بيروت، ط ٢٠٠٥ م .

ـــ القرضاوي، يوسف، **الإسلام حضارة الغد**، المؤتمر العام التاسع (الإنســـانية ومستقبل الحضارة: وجهة نظر إسلامية) عمّان ٢٣ ـــ ٢٥ من المحـــرّم ١٤١٤ هـــ / ١٣ ـــ ١٥ يوليو ١٩٩٣ م .

ـــ القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، مؤسسة الرسالة ـــ بيروت، ط١٠، ١٩٩٧م.

ـــ قطب، سيد، **في ظلال القـــرآن**، دار الشـــروق ـــ بـــيروت والقـــاهرة، ط١٥، ١٩٨٨م.

ـــ ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تح : طه عبدالرؤوف، **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، دار الجيل ـــ بيروت، ١٩٧٣ م .

ـــ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.

ـــ الكندي، إبراهيم بن أحمد، **الإسلام دين العدالة والسماحة**، المؤتمر الثاني عشر: هذا هو الإسلام، الأزهر الشريف، ٣ صفر ١٤٢٣ هـ / ١٦ أبريل ٢٠٠٢ م.

ـــ مأمون عبد القيوم (رئيس جمهورية مالديف)، **الإسلام دين العدالة والسماحة والرحمة**، المؤتمر الثاني عشر: هذا هو الإسلام، الأزهر الشريف، ٣ صفر ١٤٢٣هـ / ١٦ أبريل ٢٠٠٢ م .

ـــ المراغي، أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، دار الكتب العلمية ـــ بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م .

ـــ محمد شهاب، **الإسلام دين العدالة والإنسانية**، المؤتمر الثاني عشر: هذا هو الإسلام، الأزهر الشريف، ٣ صفر ١٤٢٣ هـ / ١٦ أبريل ٢٠٠٢ م .

ـــ مكتبي، نذير محمد، **شعاع من هدي الإسلام**، دار البشائر الإسلامية ـــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧م .

ـــ ابن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت، ط ٢، ١٩٩٧م .

ـــ المودودي، أبو الأعلى، **مبادئ الإسلام**، دار الفكر.

المواقع الإليكترونية:

ـــ العلي، محمد بن صالح، **الديمقراطية وفاق أم خلاف** (٣/٧)، مؤسسة الإسلام اليوم، الرابط : http://www.islamtoday.net/mobile/